

## مكانة النسب فى الفطرة الإنسانية والحضارات القديمة مقاربة علمية للفكر المقاصدي

أ. د أحمد فؤاد باشا  
أستاذ بجامعة القاهرة  
مصر

### مقدمة:

إن من يستقرئ تاريخ البشرية، فضلاً عن تعاليم الأديان السماوية، يدرك أن الزواج ونظام القرابة وتكوين الأسرة، وزيادة النسل وحفظ العرض، وعدم اختلاط الأنساب، والابتعاد عن الخيانات الزوجية، كلها قضايا مغروسة فى فطرة الإنسان وكيونته، حتى عند البدائيين والوثنيين الذين لا يعتقدون فى أية شريعة، نجد أن فطرتهم تنتفض بين حين وآخر، وتتجلى على شكل قانون، أو عادات وتقاليد، لتنظيم سلوكهم الأخلاقى وحياتهم الاجتماعية، فإن اتفاق البشر وتعاهدتهم، على اختلاف مللهم ونحلهم وحضاراتهم وأديانهم وشرائعهم، على مسألة ما دليلٌ على تأصل تلك المسألة فى النفوس، وموافقتها للفطرة الإنسانية السليمة التى يكون عليها كل موجود أول خلقه، وتكون مهياة لإصابة الحكم والتمييز بين الحق والباطل، وبين الصواب والخطأ، وبين الخير والشر، وبين الجمال والقبح<sup>(١)</sup>.

### فطرية الزواج والتناسل فى عالم الأحياء:

إن كافة الكائنات الحية يلهمها الله - سبحانه وتعالى - أعمالاً هى من صميم فطرتها وغريزتها التى لا إرادة لها فيها، من ذلك فطرية الزواج والتناسل وما يلزمهما من سلوكيات تدل على قدرة الخالق الواحد - سبحانه وتعالى.

وإذا كان الزواج بين أفراد الجنس البشرى لم يختلف منذ بدء الخليقة من حيث الطرق المعروفة فى إبداء الرغبة ولفت الانتباه بين الذكر والأنثى، فإن معظم الحيوان لا يختلف عن الإنسان فى الزواج، بل ربما تكون مظاهر الإلهام فى تناسل الحيوان أقوى وأبلغ فى الدلالة منها فى الإنسان.

إن طائر البطريق - على سبيل المثال - له أسلوب فى الغزل لا يحيد عنه، فإن أراد التودد إلى أنثاه، اختار حصاة وتقدم بها فى زهو وحنان ووضعها تحت قدمه، فإذا التقطتها كان ذلك دليلاً على أنها قبلته زوجاً لها، فيتزوجان، أما إذا تركتها ولم تمسها كان ذلك دليلاً على عزوفها عنه وإعراضها عن الزواج منه، وعندئذ يعود فيلتقط حصاته، وينصرف بها إلى أخرى!!!.

ويعتبر طائر الروبين من أوضح الأمثلة على ما تتخذه الطيور من خطوات طويلة للتزواج، ففي صيف السنة السابقة لبناء العش يستولى الذكر على قطعة من الأرض كبيرة المساحة فى حقل أو غابة، وحين يحط عليها يأخذ فى الدفاع عنها ضد أى حيوان أو طائر يحاول انتزاعها منه، وحين يأمن وتثبت ملكيته لها، يقبع على شجرة قريبة ويأخذ فى الصياح إعلاناً منه وإشعاراً لباقي الطيور بامتلاكه الأرض، ويظل على هذا الإعلان ستة أشهر كاملة، وفى منتصف الشتاء ينقلب صياحه إلى تغريد وغناء فتنجذب إليه الأنثى التى تعيش معه إلى الربيع، وحينئذ يتعاونان فى بناء عشهما ثم يتلاقحان وتضع الأنثى البيض وتحتضنه حتى يفقس. وهنا نلاحظ أن التزواج قد سبقته مقدمات منتظمة مقصودة الغرض طوال عام تقريباً. وكافة أفراد هذا النوع من الطيور تتفق فى هذه الطقوس الفطرية التى علمها خالقها إياها مثلما علم غيرها فى عالم الأحياء.

وقد لوحظ أن الطيور المهاجرة ترجع إلى مواطنها فى مواعيد تكون محددة، مهما كانت المسافات التى تفصل بين الطير ووطنه، ليتم التزواج والتناسل.

وهناك العديد من الأمثلة الأخرى التى تدعو إلى العجب فى عالم الحيوانات البرية والبحرية، وكذلك فى عالم النبات الذى تتنوع فيه طرق التلقيح والتزواج بين أعضاء التذكير والتأنيث بواسطة الحشرات أو الرياح أو الإنسان.

ويرتبط بفطرية التزواج والتناسل فى عالم الأحياء غريزة الأمومة السامية التى أوجدها الله - سبحانه وتعالى - فى الأنثى من الإنسان والحيوان، وهى تأتى فى مقدمة الغرائز الضرورية لاستمرار الحياة وبقائها إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها. فلقد ملأ الخالق - جل وعلا - قلب كل أم بالحب والحنان على صغارها، وهداها إلى وظيفتها فى الحرص على أولادها مهما كانت التضحيات<sup>(٢)</sup>.

إلا أنه فى هذا الصدد ينبغى إدراك الفرق الرئيسى بين الإنسان وغيره من الأحياء، وفى عالم الحيوان تقوم الغريزة الفطرية بتنظيم مواسم معينة للنشاط الجنسي، حتى إذا تمت المهمة، وحملت الإنثاء بذور الأجيال القادمة، صام الذكر والأنثى كلاهما عن كل محاولة جنسية صيماً ينشأ من عدم وجود الرغبة، لا من ضبطها وتقييدها بإرادة الحيوان، ولهذا تهتم بعض الهيئات بالمحافظة

على السلالات الحيوانية المهددة بالانقراض لأسباب مختلفة.

أما الإنسان فقد تحرر من هذا الضبط والقيود، وصارت الأيام كلها عنده موسماً صالحاً لهذا النشاط الجنىسى. وفى مقابل الحرية تقوم دائماً تبعه، فتلك سنة الحياة، وهذه التبعة تقتضى أن يقوم الإنسان نفسه بتنظيم مشاعره الجنسية وضبطها، بحيث تحقق أهدافها المرسومة، ولا تعود عليه بالضرر فرداً أو جماعة، وعلى قدر توفيقه فى هذه المهمة يكون مدى ارتفاعه فى سلم الرقى<sup>(٣)</sup>.

### أهمية النسب ومكانته فى الأسرة والحضارات القديمة:

من حقائق الفطرة الإنسانية أن هناك تجاذباً فطرياً بين الجنسين، لابد أن يأخذ سبيله إلى اللقاء على النحو الذى يحقق استمرار الحياة والإعمار فى الأرض إلى ما شاء الله تعالى. ومادامت فطرة التجاذب بين الجنسين حتمية الحدوث، ومادام الجنس ليسوا أفراداً معدودين، ولكنهم رجال كثير ونساء، فقد لزم تنظيم التجاذب بينهما لكى لا يؤدى إلى الفوضى والاضطراب، وكان الزواج تلبية ضرورية لتلك الرغبة الفطرية، العميقة فى نفس الفرد، ونشأت "الأسرة" بنمو اجتماعى فطرى بحث لتكوّن "المجتمع" بادئ ذى بدء فى أية صورة من صوره، وما زال الزواج والأسرة منذ وجدنا فى مجتمع الصيد فى ظلمات التاريخ، "نظامين طبيعيين" فى بنية المجتمعات البشرية يلبيان دوافع الفطرة فى اللقاء الجنىسى والرغبة فى النسل، رغم ما يظهر إلى جانبهما من نظم أخرى تقوم على الإباحية والتحلل، وتهدد البشرية بالدمار، فالفطرة تتأذى دائماً من كل شيء لا يلائم طبيعتها، وتمرض من استمرار تعاطيه<sup>(٤)</sup>.

وخاصية النمو، التى تنمى الطفل حتى يبلغ أشده، وهى خاصية بيولوجية، أى فى صميم الفطرة، هى ذاتها التى تنمى المجتمعات الصغيرة إلى مجتمعات كبيرة، فتنمى الأسرة إلى العشيرة، والعشيرة إلى قبيلة، والقبيلة إلى أمة... وهكذا، وتنمى العلاقات بين الناس من علاقات بدائية صغيرة مباشرة إلى علاقات معقدة كبيرة غير مباشرة<sup>(٥)</sup>. ومن الطبيعى أن تكون التنظيمات الاجتماعية المختلفة ذات صلة وثيقة بالحضارة والثقافة.

وقد توصل علماء الأنثروبولوجيا إلى أن النسب والمصاهرة هما أساس القرابة بين اثنين أو أكثر، وتحدد هذه القرابة رابطة الدم، أو القبيلة، أو المصاهرة الناشئة عن الزواج، أو الرضاعة، أو التبني... إلخ. ويقصر الأنثروبولوجيون الاجتماعيون البريطانيون مصطلح "النسب" على العلاقات القائمة بين أفراد ينتمون إلى أكثر من جيلين. فى حين يستخدمون مصطلح البنوة على علاقات النسب داخل "الأسرة النووية" ما بين الأب أو الأم - وأولاده<sup>(٦)</sup>. وقد ظهر علم الأنساب بقواعده الجزئية والكلية للتعرف على أنساب الناس من أجل الاحتراز عن الخطأ فى نسب شخص.

وسوف نعرض فيما يلى بإيجاز لبيان أهمية النسب ومكانته فى الأسرة وفى بعض الحضارات القديمة.

## ١- حضارة المصريين القدماء:

اعتمد مؤرخو الحضارة المصرية القديمة فى كتابة تاريخ هذه الحضارة على ما خلفته من تراث مكتوب وغير مكتوب يشمل الأهرامات والمعابد والمقابر وأوراق البردى واللوحات الجائزية والتوابيت، وغيرها، بالإضافة إلى كتابات الرحالة اليونان والرومان، وما ورد فى كتابات الحضارات المعاصرة للحضارة المصرية القديمة كالحضارات البابلية والسومرية والآشورية والفينيقية والآرامية، وما ورد فى الكتابين السماويين (التوراة والقرآن الكريم) من إشارات إلى مواقع قديمة وأحداث تاريخية.

وكان من بين الوثائق المهمة التى خلفها المصريون القدماء ما يعرف باسم "نصوص الأنساب"، ويقصد بها النصوص التى تحكى نسب عائلة معينة. وكان الاهتمام بتسجيل الأنساب قد انتشر بصورة خاصة فى العصور المصرية المتأخرة. وترجع أهمية تلك النصوص إلى أنها تساعد على معرفة تتابع بعض الملوك الذين عاشت أسر أصحابها فى عهودهم، ومن أشهر هذه الأنساب نسب كاهن عاش فى الأسرة الثانية والعشرين، منقوش على لوحة من الحجر محفوظة بمتحف برلين.. وقد ذكر الكاهن أسماء ستين جدًّا، وأمام كل منهم الملك الذى عاصره.

وتشير مصادر أخرى إلى أن العرش انتقل فى يسر من الأسرة الحادية والعشرين إلى الأسرة الثانية والعشرين دون إراقة دماء، ولعل رابطة النسب كانت الدافع لذلك الانتقال السلمى للسلطة لأن "سركون" ابن شاشنق مؤسس الأسرة ٢٢، وخليفته كان زوجًا لابنة آخر ملوك الأسرة الحادية والعشرين الذى لم ينجب ذكرًا، مما جعله يقبل تزويج ابنته من ابن أقوى رجل فى الدولة ليضمن العرش فى نسله من الإناث<sup>(٧)</sup>.

وبصورة عامة، كانت النصوص المصرية القديمة تولى الزواج أهمية بالغة، وتنتهى عن الزنا وتهدد مرتكبه بأعنف العقوبات، فالزواج الخائن يتعرض لعقوبة الجلد، والزوجة الخائنة تتعرض لجذع الأنف، كما كان الزنا أحد المبررات للطلاق عندهم دون تفرقة بين الرجل والمرأة.

ولقد كان لعقيدة الخلود بعد الموت عند المصريين القدماء أكبر الأثر فيما يتعلق بالأخلاق عندهم على مستوى الفرد والمجتمع. وقد تضمن "كتاب الموتى" - الذى كانت توضع نسخة منه مع كل ميت - عددًا من "إعلانات البراءة" تكون بمثابة الدفاع الذى يدافع به الميت عن نفسه ويعلن أنه طاهر مبرأ من كل إثم حتى يمكن لسيد القضاء "أوزوريس" أن يحاسبه فى الآخرة<sup>(٨)</sup>.

ومما جاء فى هذا الدفاع، "إننى لم أقارف الشر ولم أعتد، ولم أسرق، ولم أقتل غدرًا، ولم أمس القرايين، ولم أكذب.. ولم أتنس، ولم أذبح الحيوانات المقدسة، ولم أتلّف أرضًا مزروعة، ولم أقذف (الأعراض)، ولم أترك الغضب يخرجنى إلى غير الحق، ولم أزن، ولم أرفض أن أسمع كلمة العدل، ولم أسئ الظن بالملك ولا بأبى، ولم ألوث الماء...، ولم أغش فى الميزان، ولم أمنع اللبن عن أفواه الرضع.. ولم أسد قناة رى على غيري، ولم أطفئ نارًا يجب أن تشعل، ولم يخطر على بالى أن أستخف بالآلهة، إننى طاهر طاهر".

وبعد أن ينتهى الميت من هذا الكلام الذى يتوجه به إلى أوزوريس، يتوجه إلى القضاة قائلاً: "... إننى آت إليكم بلا خطيئة ولا سوء، وقد فعلت ما يرضى الناس والآلهة، وأرضيت الإله بما يحبه، وقد أعطيت خبزًا للجائع، وماءً للعطشان، وثيابًا للعاري، وزورقًا لمن ليس له مركب...".

ويلاحظ على هذا الدفاع الشامل أنه يتضمن كثيرًا من أوجه النشاط الإنسانى الشامل فى مجالات مختلفة تتعلق بالآلهة والملك والأب والجار، ثم بالناس جميعًا، بل بالبيئة الطبيعية نفسها، ثم يلاحظ كذلك أن هذا الدفاع ليس مقصورًا على الامتناع عن بعض الرذائل، وإنما يضيف إلى هذا الجانب عددًا من الفضائل الإيجابية التى تدل على التعاطف مع إخوانه من بنى البشر، وإذا كان كل فرد يتخلق بهذه القيم الرفيعة والصفات الفاضلة، فإن المحصلة النهائية هى الارتقاء العام للأخلاق السائدة فى المجتمع، وقلة نسبة المظالم والهبوط الأخلاقى<sup>(٩)</sup>.

## ٢- الحضارة الصينية:

تقف الحضارة الصينية وحدها وسط حضارات العالم الكبرى من حيث إنها قد تطورت فى عزلة تامة، تقريبًا، عن بقية الحضارات، ولهذا كانت إنجازاتها فريدة، فهم يتكلمون لغة لا يربطها صلة بأى جماعة لغوية أخرى، وتكتب بخط اخترعوه لا يشبه غيره، وقد قامت اللغة وطريقة كتابتها وقراءتها بدور قوى فى إحساس الشعب الصينى، لا بالوحدة والهوية فقط، بل كذلك بالاستمرار والتواصل، وهذه الخاصية الفريدة تكتسب أهمية خاصة فى حديثنا عن مكانة النسب ونظام القرابة فى الفطرة الإنسانية، مقارنة بالحضارات الأخرى القديمة، خاصة وأن استقرار التاريخ القديم يوضح لنا أن الصين قد تطورت بنفسها وساعدتها على ذلك عزلتها الجغرافية عند النهاية الشرقية القصوى (فى الطرف الشرقى الأقصى) من العالم الأوروبى الآسيوى القديم، تحيط بها جبال وصحراء، ولا تمر بها أية طرق للتجارة، وبالرغم من هذه العزلة الجغرافية، فإن التجربة الصينية استوعبت مشاعر وتطلعات الجنس البشرى كله، ولكنها عبرت عنها باستمرار بطريقة صينية خاصة فى ظل الديانتين القوميتين الأصليتين: الكونفوشية، والطاوية (التاوية) على مدى

ثلاثة آلاف سنة من التاريخ الصيني، حتى بعد مواجهة التراث الأجنبي الوافد إليها. وكانت الأولى ملهمة لفلسفة الأخلاق والسلوك الاجتماعي، بينما كانت الثانية ملهمة لديانة التصوف<sup>(١٠)</sup>.

وإذا قصرنا الحديث عن الكونفوشية، فكان مؤسسها كونفوشيوس (٥٥١ - ٤٧٩ ق.م) هو الفيلسوف الصيني الأول الذى أنشأ مذهباً أخلاقياً فى التنظيم العائلى والاجتماعى وما يتعلق بهما من طقوس وممارسات، ويؤكد أحد مبادئ هذا المذهب على ما أسماه "ولاء الأبناء" أو "الهسياو Hsiao" التى تعنى فى اللغة الصينية أصلاً ولاء الأبناء للآباء الموتى وللأسلاف، والواجبات التى ينبغى أن تؤدى لهم كتقديم القرابين والطعام، لكن كونفوشيوس كان يشدد أيضاً على تأدية الواجب للأحياء، فقد أصبح "ولاء الأبناء" يعنى خدمة الوالدين أثناء حياتهما، ومن ثم اكتملت علاقة الابن بأبيه، والأخ الأكبر بأخيه الأصغر، وعلاقة الزوج بزوجته.

فالهسياو إذن هو فضيلة توقير العائلة واحترامها، حيث يتم أولاً، وقبل كل شيء، توقير الأبوين، لأن الحياة نفسها متولدة عنهما، وفى غمار إظهار التوقير للوالدين، يكون من الأهمية بمكان حماية الجسم من أن يلحق به أذى، حيث إن الجسم من الأبوين، ومن هنا فإن حماية الجسم هى تكريم للأبوين<sup>(١١)</sup>. والأكثر من ذلك أن يتم إظهار التوقير للأبوين من خلال حسن السلوك فى الحياة، وإذا لم يكن بمقدور المرء أن يشرف اسم أبويه، فعليه، على أقل تقدير، ألا يجلب لهما الخزي والعار.. وهكذا فإن "هسياو" لا يتمثل فى الرعاية البدنية من جانب المرء بوالديه فحسب، وإنما كذلك فى جلب الثراء العاطفى والروحى. ومن المهم بالقدر نفسه أن تكون أهدافهما وأغراضهما التى لم تتحقق هى نفسها، بعد موتهما، أهداف أبنائهما وأغراضهم، بل إن هذا أكثر أهمية من تقديم القرابين إلى روح الوالدين الراحلين.

والولاء للأسرة فى فلسفة كونفوشيوس يعنى أن يكون المرء مهذباً وإنساناً وخيراً إلى أقصى حد، ويقول إن ما يجعل البشر إنسانيين على نحو فريد هو "جين" Jen، أى الصفة الجوهرية للقداسة، "فالجين" نفسه عند كونفوشيوس هو نموذج متعال لم يبلغه سوى حكماء الماضى، إنه كيان صوفى<sup>(١٢)</sup>. ومن ثم فإن "هسياو" ليس فضيلة عائلية فقط، فهذه الفضيلة التى تنشأ فى العائلة تؤثر فى الأفعال خارج المحيط العائلى، وتصبح من خلال اتساع نطاقها فضيلة أخلاقية واجتماعية.

وعندما يتعلم الأطفال احترام أبويهم وتوقيرهم، فإن بمقدورهم أن يحبوا إخوتهم وأن يحترمهم، وعندما يحققون ذلك، فإن بإمكانهم أن يحبوا الإنسانية بأسرها، وأن يحترموها، وعندما يوجّه حب الإنسانية كل الأفعال فإنهم يتصرفون وفقاً لإنسانيتهم، أو وفقاً "للجين Jen"، وهكذا فإن بدايات "جين" إنما توجد فى ولاء الأبناء "هسياو"، وإن العائلة تشكل فى فلسفة كونفوشيوس البيئة

الاجتماعية المباشرة للطفل، ففي العائلة يتعلم الطفل احترام الآخرين وحبهم، حيث يأتي الآباء أولاً، فالأخوة والأخوات والأقارب، ثم باتساع النطاق التدريجي، الإنسانية كافة، وقد قال "توتسو Tutzu" أحد أتباع كونفوشيوس: "إن الولاء البنوي (هسيو) والاحترام الأخوي هما جذر الإنسانية" (١٣).

### ٣- حضارة وادي الرافدين:

كان الزواج عند السومريين يحظى بأهمية بالغة، وكانت الخيانة الزوجية عندهم جريمة يعاقب عليها القانون، فالزانيان إن أخذا بالجرم المشهود يوثقان ويلقيان في الماء، وإن لم يكن بالجرم المشهود فيمكن للمرأة تبرئة نفسها بالقسم، ولم يختلف الأمر كثيراً عند الآشوريين، فالخيانة الزوجية عندهم عقابها الموت غرقاً، أو جلد الفاعلين أو نتف شعرهما أو قطع آذانهما، وكانوا يدعون لزيادة النسل واعتبار الإجهاض جريمة خطيرة عقابها الإعدام. واعتبروا الضرب المفضي إلى الإجهاض جريمة عقابها الجلد خمسين جلدة، وتشغيل مرتكبها بأعمال السخرة، وقد تصل العقوبة في بعض الحالات إلى حد الإعدام، أما البابليون فقد خصصوا أكثر من ٦٠ حكماً يتعلق بصيانة العائلة، والتشديد على الحد من وقوع الزنا وتنفيذ عقوبة الغرق لمرتكبه.

### مبدأ الفطرة في الفكر المقاصدي:

إن الدين الصحيح - فيما يرى كثير من الباحثين المتخصصين في دراسة الأديان - هو دين واحد في أصله وجوهره المبني على عقيدة التوحيد، أوحى به الله للمصطفين من الأنبياء والرسل لهداية الناس إلى الصراط المستقيم، قال تعالى: ﴿ شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ ﴾ (الشورى: ١)، وقال جل شأنه: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴾ (الأنبياء: ٢٥).

كما أن الدين الصحيح مفطور في كينونة الإنسان منذ أن خلقه الله: ﴿ فَأَقَمَ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا ﴾ (الروم: ٣٠). ومعرفة الإنسان بخالقه معرفة فطرية ترجع إلى الميثاق أو العهد الذي أخذه الله على بني آدم وهم في مرحلة "الذر"، مصداقاً لقوله تعالى: ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا ﴾ (الأعراف: ١٧٢).

وعلى ذلك فإن الرسائل الإلهية التى أوحى الله بها للأنبياء والمرسلين قد توالى لتصحيح الانحرافات التى وقعت من وقت لآخر فى تاريخ البشرية، ولتطهير الدين من مظاهر الوثنية والانحراف عن الدين الصحيح، التى كانت تطرأ عندما توشك رسالة أن تسلم الراية لغيرها. وكان الدين الخاتم هو الإسلام الحنيف الذى جاء ليقود حركة الإنسانية كلها دون أدنى تناقض مع الفطرة الإنسانية السوية التى تمثل مبدأ مهمًا من المبادئ التى يقوم عليها الفكر المقاصدى، وجملة من الإمكانيات الإنسانية الجسدية والعقلية التى تتسق وتتطابق مع ما جاء به الشرع الإسلامى، فالذى خلق النوع الإنسانى هو الذى شرع لهم الأحكام التى تصلح لهم: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ (الملك: ١٤).

وهكذا فإن استقرار التصرفات الشرعية من زواج، وإرضاع، وآداب فى المعاشرة، وأحكام فى حفظ النفس والأنساب والأموال، .. يفضى إلى أنها مسابرة للفطرة، إما لأنها تقيمها فى أنفس المكلفين، وإما لأنها تحميها من الانحراف، لذا لا يمكن تفقه الشرع الإسلامى إلا على أساس دقيق وواضح من الوعى العميق لمكونات الفطرة الإنسانية<sup>(١)</sup>.

### الهوامش:

(١) الفطرة فى اللغة: الخِلْقَةُ التى يكون عليها كل موجود أول خلقه، والطبيعة السليمة التى لم تُشَبَّ بعيب، ومن مرادفاتنا: الجبلة، السليقة، السجية.

وفى اصطلاح الفلاسفة: الفطرية Inneism: القول بأن الأفكار والمبادئ جبليّة، وموجودة فى النفس قبل التجربة والتلقين، أى موجودة فى الذهن منذ النشأة، وهى مذهب الفطرة.

والفطرى Innate: ما يخص طبيعة الكائن وبصاحبه منذ نشأته، ومنه الأفكار الفطرية، وهى التى لم تستمد من التجربة. والفطرى: الملازم والمتأصل فى صلب الشيء نفسه أو طبيعته الأساسية، أو ما ينشأ بالسليقة، ويقابل المكتسب Acquired، وهو كل ما يضاف إلى القدرات الفطرية عن طريق النشاط التلقائى أو التجربة والتدريب، والعلم المكتسب ما يحصل بالتجربة والنظر العقلى الشخصى.

والجبليّة Nativism: اتجاه يسلّم بفطرية الطباع والصفات، وقد يمتد إلى نظرية المعرفة، على أنه ينبغى ألا نبالغ فى التقابل بين المكتسب والفطرى، إذ أن كل صورة من صور السلوك إنما تكون نتيجة تفاعل الوراثة وعوامل الاكتساب بعضها مع بعض. راجع: المعجم الوجيز، والمعجم الفلسفى، مجمع اللغة العربية بالقاهرة.

(٢) د. أحمد فؤاد باشا، رحيق العلم والإيمان، دار الفكر العربى، القاهرة ١٤٢٢هـ / ٢٠٠٢م.

(٣) محمد قطب، الإنسان بين المادية والإسلام، دار الشروق، القاهرة ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م.

(٤) محمد قطب، التطور والثبات فى حياة البشرية، دار الشروق، القاهرة ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م.



- (٥) المرجع السابق.
- (٦) مارفن هاريس، الأنثروبولوجيا الثقافية، الترجمة العربية مراجعة أ.د. السيد حامد، دار الثقافة العربية، القاهرة ٢٠٠٦م.
- (٧) د. عبد الحليم نور الدين، تاريخ وحضارة مصر القديمة، الخليج العربي للطباعة والنشر (د.ت).
- (٨) جفرى بارندر، المعتقدات الدينية لدى الشعوب، الترجمة العربية، عالم المعرفة، الكويت، ١٩٩٣م.
- (٩) لمزيد من التفصيل، راجع: د. عبد الحميد عبد المنعم مذكور، دراسات فى علم الأخلاق، مكتبة الشباب، القاهرة، ١٩٩٠م.
- (١٠) جفرى بارندر (محرر)، المعتقدات الدينية لدى الشعوب، ترجمة: د. إمام عبد الفتاح إمام، مراجعة: د. عبد الغفار مكوي، سلسلة عالم المعرفة (١٧٣)، الكويت، ذو القعدة، ١٤١٣هـ / مايو ١٩٩٣م.
- (١١) جون كولر، الفكر الشرقى القديم، ترجمة: كامل يوسف حسين، مراجعة: د. إمام عبد الفتاح إمام، سلسلة عالم المعرفة (١٩٩٠)، المجلس الوطنى للثقافة والفنون والآداب، الكويت، صفر ١٤١٦هـ / ١٩٩٥م.
- (١٢) لقد تعددت ترجمات كلمة "جين Jen" ومنها: الفضيلة، الإنسانية، الإحسان، الرجولة الحقة، الطابع الأخلاقي، الحب، الخير الإنساني، وهذه كلها قيم تشير بوضوح إلى أن "جين" هو المبدأ المطلق للفعل الإنساني، والكائن البشرى الحق لا ينحرف عن طريق "الجين" قط، ومن ينحرف عن هذا الطريق لا يعبر عن كمال الإنسانية.
- (١٣) راجع: جون كولر، الفكر الشرقى القديم، مرجع سابق.
- (١٤) راجع فى ذلك:

#### المراجع:

- إسماعيل حسنى - الفكر المقاصدى وترسيخ الفكر العلمى، إسلامية المعرفة، المعهد العالمى للفكر الإسلامى، ع ٥٧ (٢٠٠٩م).
- ابن عاشور، أصول النظام الاجتماعى فى الإسلام، الدار التونسية للنشر، تونس، ١٩٧٥م.
- د. جمال الدين عطية، نحو تفعيل مقاصد الشريعة، دار الفكر، دمشق ١٤٢٢ هـ / ٢٠٠١م.
- أ.د. عبد الحميد أحمد أبو سليمان، الرؤية الكونية الحضارية القرآنية المنطلق الأساسى للإصلاح الإنسانى، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، المعهد العالمى للفكر الإسلامى، القاهرة ١٤٣٠هـ / ٢٠٠٩م.
- محمد قطب، الإنسان بين المادية والإسلام، مرجع سابق.
- د. أحمد فؤاد باشا، دراسات إسلامية فى الفكر العلمى، الهيئة العامة للكتاب، مكتبة الأسرة، القاهرة، ٢٠٠٩م.